شروط ومزايا الباحثين المؤهلين في البحث العلمي

أ. بور كبة محمد
جامعة وهران

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى من اتبع منهاجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن قضية المنهج في العلم والمعرفة والحضارة الإسلامية، بل في شؤون الحياة كلها أساسية وخطيرة، فهي أساسية لتجنب الضياع والإهمال والعبث، وتوفير الوقت والجهد والاجتهاد وما وراءهم.

وإن من قضية المنهج والبحث العلمي وسلامته أن تضع الأمة ومفكروها وعلماؤها كل علم وبحث في مكانه المناسب، وكل عالم وباحث في مجاله وميدانه، حتى يصبح العلم والمعرفة ومنهج البحث العلمي أداة لرقي وتقدم الحضارة والأمة. وبهذا يحقق العالم والباحث أفكاره ويردها إلى مضانها الحقيقي، ويبين صوابها من خطئها، وقويها حجة ودليلا وبيانا من ضعيفها[1].

البحث العلمي يعني التقصي المنظم باتباع أساليب ومناهج علمية محددة في دراسة المواضيع المختلفة[2]. ومنه يعرف البحث العلمي على أنه نشاط علمي منظم وطريقة في التفكير وأسلوب للنظر في الظواهر، والكشف عن الحقائق، معتمدا على مناهج موضوعية من أجل معرفة الارتباط بين الحقائق ثم استخلاص المبادئ والقوانين التفسيرية[3].

إن البحث العلمي وسيلة للدراسة، نصل من خلالها إلى حل الإشكال ما، عن طريق الاستقصاء الشامل والدقيق والواضح لجميع الشواهد والأدلة، التي يمكن التحقق منها، والمتصلة بهذا الإشكال. وأنه طلب الحقيقة وتقصيها وإذاعتها في الناس، لتحفظ لنا التراث[4].

فالبحث العلمي هو بمثابة الواسطة التي تمكننا من المعرفة، وتوجه بحثنا من خلال المنهج المستخدم أو النظرية المتبعة، كما أن البحث العلمي سبيل الوصول إلى الحقائق العلمية[5]. ومنه نستخلص أن البحث العلمي هو خطة عامة أو استراتيجية تتضمن مراحل وخطوات يتم قطعها لإنجازه، وهذه الخطوات يختلف تصنيفها من باحث إلى آخر[6].

وأما الباحث العلمي المؤهل : هو من يعمل في مجال البحث عن المعارف، ويساهم في عمله في تقدم المعارف ورقيها وإليه يرجع الفضل في نشأة العلوم والحضارة وتقدمها نحو الأفضل. ومنه يجب أن تتوفر في هذا الباحث صفات وشروط أساسية لا يمكن في حال من الأحوال الاستغناء عنها، ونذكر من بينها[7]:

- حب الإطلاع والعلم: ويعتبر ذلك دافع قوي لحب العمل والعلم والمعرفة والبحث.
- صفاء الذهن: وهذا يؤدي إلى قوة الملاحظة وصدق التصور.
- الصبر والمثابرة: مما يساعد في صموده أمام العثرات كلها حتى ولو تكررت.
- الأمانة العقلية: لضمان سلامة العمل وسلامة نتائجه.
- التخمين والخيال والتفكير: وهم الطريق الوحيد لخلق وصنع الأفكار وورود الخواطر والمعلومات بالذهن.
- الأمانة العلمية: يجب التحلي بالأمانة العلمية، وبالتحلي بآداب البحث العلمي، وكلاهما من مستلزمات الباحث الأمين في بحثه العلمي، إلا أننا نعني بالأمانة العلمية نسبة المجهود الفكري إلى صاحبه ومؤلفه. وهناك فرق بين

الفكرة والمجهود الفكري، فالفكرة قد تكون ملك جميع الباحثين في صور شتى في مجالات عدة، ولكن المجهود الفكري لا يملكه إلا شخص معين أي (صاحبه).

وأقبح درجات الإخلال بالأمانة العلمية أن ينسب بعض الباحثين مجهود غيرهم إلى أنفسهم، وهو أمر منتشر ولعله _ من المؤسف _ أصبح مبتذلا بين الباحثين اليوم[8].

إن الباحث الأمين يجب أن يتسم بالصدق والأمانة، والإصرار على الوصول إلى حلول الإشكاليات التي يبحث فيها...لهذا فإن مواصفات البحث تشمل لا محالة الجانبين المترابطين: الجانب الفني والجانب الأخلاقي.

وفي الجانب الفني.. يجب أن يكون الباحث مطلعاً على كل جوانب الإشكال الذي يبحث عن حل له، فهو بذلك بحاجة إلى المصادر والمصادر الوثائقية والأدوات المختبرية والاتصالات الحديثة لكي لا يبذل جهوداً في حل مشاكل قد تم حلها في مكان آخر، وأن يعرف ما يرتبط بالمشكلة التي يدرسها من أمور، لذلك فإن الباحث يجب أن يتصف بمؤهلات فنية ذات علاقة بموضوع بحثه، وأن يكون حريصاً أشد الحرص على الوصول إلى نتائج مفيدة وأن لا يدخر جهداً في سبيل تحقيق تلك الغاية.

وأما في الجانب الأخلاقي.. فإن الباحث يجب أن يتصف بالصدق مع نفسه ومع من ائتمنه على أداء تلك الأمانة وأن يقوم بواجبه على أكمل وجه، وأن لا تقف العقبات والعوائق المادية وحتى الشخصية حائلاً دون أدائه لعلمه وعمله، وعليه أن لا يقيم أية علاقة مباشرة بين المكافأة المادية وبين نزاهة العمل البحثي ودقته وأصالته، فليس الموضوع موضوع بيع وشراء، وإن هو علم وبحث وعمل.

وإن بين المواصفات الفنية والأخلاقية مواصفات لا بد منها لمن يتقدم لكي ينال تسمية الباحث المؤهل، فعله أن يجبر نفسه على صفات يلتزم بها

التزاما، عليه أن يكون صبوراً واقعياً ومدركا للظروف المحيطة ببحثه، متواضعاً إذا ما حقق نتائج جيدة وباهرة، منظماً في عمله لا تشوش على تفكيره عقبات أو اضطرابات العالم والواقع من حوله، رغم أن عليه أن يعيش هموم أمته وطنه ويساهم في حلها. وأن يستغل كل ما يتوفر له من خدمات وحاجيات بأفضل وجه حتى وإن كانت يسيرة فلا يسرف في متطلبات فوق طاقة المصادر المتوفرة، وأن يولي أقصى اهتمام للتعامل مع البشر من حوله من مساعدين وباحثين آخرين . ولا يتعالى ويتكبر على من هو دونه علماً ومعرفة ولا يسفه رأياً مهما كان مخالفا له فربّ حكمة تم الوصول إليها من فم جاهل[9].

ويلزم الباحث ما يلي :

- معرفة ميدان البحث والتمكن منه: يجب على كل باحث في ميدان ما أن يعرف أبعاد ميدانه الذي يخوضه معرفة تامة، قبل أن يشرع فيه، فيطلع على أحوال ذلك العلم والتخصص[10] بـ:

- القراءة الواعية والواسعة : لا يكتفي الباحث بالاطلاع على مصدر معين في بحثه، بل عليه أن يتتبع الموضوع في جميع جوانبه ومجالاته، ويقرأ ما أمكن قراءته من الكتب، مبتدئا بالمصادر الأصلية والأساسية، فالمراجع، فالبحوث. وتصبح القراءة المتأنية عامل ضروري لتوفير الوقت والجهد الذي كان على الباحث بذله للحصول على المعلومات التي كان غيره قد حصل عليها.

- الإلمام بقواعد العلم: ويعتبر ذلك دعامة أساسية يقيم عليها الباحث بنيانه الفكري.

- الإلمام باللغة العربية: يساعد الباحث على التعبير السليم وفهم ما يقرأ وإدراك ما يسمع.

- المعرفة باللغات الحية: أن يكون الباحث عارفا ببعض اللغات الأجنبية وخاصة الحية منها، اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها... أو يتقن على الأقل لغة منها[11].

فالباحث الذي لا يجيد لغة من اللغات الأجنبية (الحية)، يجب عليه أن يبتعد بنفسه عن الخوض في البحوث التي تناولها المستشرقون وعلماء الغرب غير أن ذلك الابتعاد أمر شاق جدا، لأننا لا نكاد نجد موضوعا في مجالات العلوم المختلفة والمتنوعة لم يخوض فيه المستشرقون بآرائهم وأفكارهم، بل أن أعمالهم ودراساتهم تناولت كل ما يتعلق بالفكر العربي والإسلامي والعلوم الإسلامية، بل حتى ما يتعلق بالعقائد والملل والمذاهب الفقهية... ومن هنا جاءت قيمة الإلمام باللغات الحية. وقد تصل القيمة إلى القمة حينما يكون عمل الباحث العلمي في مجال العلوم والدراسات الإسلامية[12].

- التذوق للنصوص المقروءة: وبدون التذوق للنصوص المقروءة، لا يستطيع الباحث أن يكون منفعلا بالبحث أو مدفوعا إليه، وهو يلي القراءة الواعية والواسعة، ويسبق الفهم الدقيق للنصوص، وبدون التذوق يصبح عمل الباحث آليا جافا لا روح فيه، وليس فيه تأثير ويستعصي عليه الفهم الدقيق للنص المدروس.
- مبدأ الشك: وكما يجب على الباحث أن يكون دقيقا في فهم أي النص، يجب عليه كذلك أن يستخدم مبدأ الشك في النصوص التي يقرأها ويدرسها، ولا يهو لنه في ذلك شهرة صاحب النص أو جلال المصدر، الذي أخذ منه، إلا أن يكون كتاب الله عز وجل، أو حديث رسوله صلى الله عليه وسلم. فأما كتاب الله تعالى فقد ثبت صدقه نقلا وعقلا. وأما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان له ما للقرآن من الثبوت نقلا وعقلا. وإذ قد عرف الباحث النصوص الثابتة بالتواتر التي لا يرقى إليها الشكّ، تعين عليه أن يستخدم مبدأ الشكّ في ما عداها.. فلا يقبل رأيا إلاّ بعد عرضه على المقاييس العلمية والقرائن التاريخية...

- التدرب على تقليب الأمور وتدبرها : بملاحظة التوافق والتعارض بين النتائج والنظريات .

- إذكاء روح المناقشة: التي تفيد في تقصي الحقائق وتبادل وجهات النظر بين الأفراد وتوجيه نظر الباحث لزوايا أخرى من الموضوع والتزود بمقترحات نافعة.

- دور المؤتمرات والملتقيات: للتعارف بين الباحثين وإدراك كيفية المناقشة والمعارضة والتأييد.

- التدرب على طريقة كتابة البحث العلمي

- مؤشرات نحو تكوين الباحث العلمي الكفء.

إن مناقشة أسلوب تكوين الباحث تبدأ من الخطوات الأولى في تربية وتعليم الطلبة وتوجيههم نحو الابتكار وإفراز ذوي المواهب الخاصة وتنمية تلك المواهب، ومن ثم توجيه الموهوبين نحو مواهبهم، إضافة إلى تربيتهم الأخلاقية والنفسية لكي يكونوا أفرادا أسوياء يستطيعون التعامل مع مجتمعاتهم باتزان وواقعية.

أما في مراكز البحوث والجامعات والمواقع المتخصصة، فإن هناك ضرورة لتنمية قابلية الباحث أهمية قصوى. فالقابلية على الابتكار موهبة يمكن تنميتها، ومن ضمن ذلك تنمية قابلية الذاكرة ودقة الملاحظة والمواهب الرياضية والأساليب العلمية للتحليل والاستنتاج، والعلوم المتعلقة بالإحصاء واستخدام الآلات الخاصة والبرمجيات الحديثة المساعدة، وغير ذلك من الأساليب العلمية المساعدة.

أما في حقل التخصص... فإن المشكلة في الحلقات الدراسية ومجموعات البحث واللجان العلمية ونشر الأبحاث وتقييم ودراسة الأبحاث ومعايير التقييم والمناقشات العلمية وغير ذلك من الأمور التخصصية الدقيقة والعامة، تؤدي إلى تنمية قابليات الباحث ورفع كفاءته في حقل تخصصه.

أما الجوانب الأخلاقية والنفسية والاجتماعية فيمكن تنميتها هي الأخرى بالمناقشات الصريحة والمحاضرات العامة والندوات الفكرية الجادة، والقدوة الحسنة ممن هو أكثر علماً وعملا وأكبر سناً. إن أسلوب العمل الجماعي نجده في بعض المؤسسات البحثية الغربية حيث يلتف عدد من مساعدي الباحث والباحثين حول باحث قدير وعالم كبير، وتكون من أقصى أمانيهم أن يقترن اسم أحدهم باسم ذلك الباحث القدير والعالم المشهور.

إن هذا الأسلوب هو ما نحتاجه في بلادنا ومؤسساتنا البحثية سواء في الجانب العلمي أو في الجانب الأخلاقي... فالباحث المؤهل يجب أن يكون مربياً وموجهاً وعالماً ومن ثم يلتف حوله طلبته لا ليتعلموا حقائق علمية وخبرة فحسب، بل وأساليب تعامل وأخلاق أيضاً. إن على الباحث في بلادنا (الجزائر)، مهام خاصة قد لا يستدعي توافرها للباحث في ديار الغرب، فمستوى الإخلاص العادي يكاد يكون كافياً في الغرب، أما لدينا فإن ذلك لا يكفي هنا حيث يجب أن يتميز الباحث في إخلاصه وعليه أن يكون حساساً ومدركا لمتطلبات التنمية والحضارة التي تحتاجها بلاده، والحق يقال: أن هناك الكثير من المثبطات المحيطة بالباحثين الجزائريين، ومن تلك سوء الإدارة و التسيير، وقلة الإمكانات المتوفرة والوسائل في البحث العلمي والظروف الاجتماعية الصعبة والمشاكل الاقتصادية وغيرها.. في حين يحتاج الباحث إلى الاستقرار الفكري والنفسي المشجع على البحث والابتكار وهذا لا يتأتى إلا بالإرادة القوية والحرص على التغلب على المثبطات والعوائق والعراقيل مهما كان نوعها ومصدرها. إن القلق بشكل عام (بسبب الظروف المحيطة)، هو عامل سيئ يؤدي إلى تدهور القابلية على الابتكار والعطاء.

وفي الختام إن هذا العمل المتواضع يعد محاولة إضافية، مع محاولات سابقة لباحثين آخرين في هذا الصدد، وما هي إلا إطلالة قصيرة، ونافذة على